كتب وأدباء

يهود اليمن في أدب علي المقري[1]

يوسف يوفال طوبي[2]

ترجمه من العبريَّة: فيَّاض هيبي

أ. سيرة ذاتيَّة

ولد الكاتب، الشَّاعر والصَّحفي علي المقري في تعز، 1966، نشر في عدد من المجلَّات التَّقدُّميَّة منذ نهاية الثَّمانينات. بدأ حياته الأدبيَّة كشاعر شابٍّ. نشر ثلاثة دواوين شعريَّة: "نافذة للجسد" (القاهرة، 1987)، "ترميمات" (صنعاء، 1999، 2000)، "يحدث في النِّسيان" (صنعاء، 2003). عمل منذ العام 1997 محرّرًا لمجلَّة اتِّحاد الكتَّاب اليمنيِّين "الحكمة"، وفي العام 2007 عمل محرّرًا للمجلَّة الأدبيَّة "غيمان". عُرِفَ ككاتب منحاز للأقلِّيَّات الاجتماعيَّة والدِّينيَّة، وَهٰذا يظهر جليًّا في رواياته الأربع، الصَّادرة عن "دار السَّاقي" في بيروت:

1. "طعم أسود... رائحة سوداء" (2008، طبعتان).
2. "اليهودي الحالي" (2009، طبعتان). للاستزادة، أُنظر في التَّرجمة الفرنسيَّة للمترجم خالد عثمان وبالاشتراك مع علا مهنَّا، إصدار Liana Levi، باريس - Le Beau Juif (2011)،

---

[1]. شكري موصول لصديقي د. حميد العوضي، مثقَّف يمني يقيم اليوم في مدينة بطسبورغ في ولاية بنسلفينيا في الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، و د. حنان معلوم مثقَّفة يمنيَّة تقيم في أكس – أن – بروفنس جنوبي فرنسا، وكان لهما الفضل في التَّواصل مع الكاتب علي المقري، المقيم في فرنسا. ولا بدَّ من تقديم الشُّكر للكاتب نفسه علي المقري على المراسلة بيننا. الأمور التَّالية المذكورة هي وفقًا للجزء الخاصّ بالكاتب في موقع صحفيِّي فرنسا www.maisondesjournalistes.org. (La Maison des Journalistes). وجَّهتني د. معلوم لثلاثة مقاطع مصوَّرة (يوتيوب) هي مقابلات تلفزيونيَّة مع علي المقري: إضاءات: علي المقري: الرِّوائي اليمني: تناول المواضيع الجنسيَّة، بيت القصيد – علي المقري - كاتب وشاعر يمني 2013-05-07.

[2] أكاديمية القاسمي.

وترجمة Maria Avino إلى الإيطاليَّة- Il Bell'Ebreo (ميلانو 2012)، وترجمة يهودا شنهاف- شهرباني، اليهودي الحالي (حيفا 2017)[1].

3. "حُرمة" (2012). صدرت بترجمة فرنسيَّة لخالد عثمان بالاشتراك مع علا مهنَّا بإصدار Liana Levi في باريس - La Femme Interdite (2015) وبترجمة إنجليزيَّة.A. Aplin – Hurma (لندن 2015). نالت التَّرجمة الفرنسيَّة الجائزة الفرنسيَّة للأدب العربي للعام 2015.

4. "بخور عدني" (2014).

كتب المقري مقالة علميَّة بعنوان " الخمر والنَّبيذ في الإسلام[2]" (بيروت 2007).

اضطرَّ المقري إلى مغادرة الوطن نظرًا للواقع السِّياسي والحرب الَّتي تشوِّش كلَّ مرافق الحياة من ناحية، والتَّهديدات بقتله من ناحية ثانية، بما في ذٰلِكَ فتاوى لرجال دين مسلمين، بدعوى نقده اللَّاذع للمجتمع في اليمن والتَّزمُّت الدِّيني. في الثَّالث عشر من أكتوبر 2015 وصل فرنسا، عمل في نقابة الصَّحفيِّين (Maison des journalists) وتابع عمله الإبداعي. وحظي بشهرة عالميَّة: مقالات وتقارير من إبداعه نشرت في صحيفة نيويورك تايمز New York Times والمجلَّة الفرنسيَّة Libération إضافة إلى اشتراكه في مهرجانات دوليَّة للأدب وَالَّتي تقام في أوروبَّا.

يُذكر أنَّ هناك كُتَّابًا يمنيِّين سبقوا المقري في إثارتهم لمسألة الدِّين بصورة إشكاليَّة، ومنهم وجدي الهدل (مواليد 1973)، الَّذي واجه انتقادات شديدة من قبل المتشدِّدين الإسلاميِّين بسبب كتابه "قوارب جبليَّة" (صنعاء 2002) وَالَّذي منع من النَّشر في اليمن. واضطرَّ هو الآخر للهجرة إلى سوريَّا، حيث مكث بضع سنين قبل أن يعود لليمن[3].

---

[1]. يفترض أن ترى النُّور قريبًا في اللُّغات: الإنجليزيَّة والكرديَّة.

[2] 0. النَّبيذ مشروب يصنع من الفواكه، مثل العنب، التُّمور أو التِّين، يمكن أن يصنَّع كعصير فواكه طبيعي فقط أو مشروب كحولي بشكل أو بآخر، وَهٰذا متعلِّق بدرجة التَّخمير خلال تصنيعه.

[3]. صدر الكتاب بترجمة فرنسيَّة بعنوان: Barques de montagne (باريس 2011).

ب. ناقد لاذع للمجتمع اليمني والتَّقاليد الدِّينيَّة

اختار المقري الرِّواية أداة للتَّعبير عن نقده للمجتمع اليمني. شنَّ "هجومًا" لا هوادة فيه دونما خوف وبكلام لا يخلو من الجرأة ضدَّ التَّوجُّه السَّلبي في التَّعامل مع الأقلِّيَّات، والأوساط الضَّعيفة في المجتمع: الأخدام، النِّساء واليهود. ولم يتوان من المضيّ قدمًا في مواجهة تحريم خطير في الدِّين الإسلامي- شرب النَّبيذ والكحول بصفة عامَّة. يذكر، أنَّه يجمع في كتاباته بين البحث التَّاريخي بمستوى علمي، ليؤسِّس لاستنكاره الشَّديد للظَّواهر السَّلبيَّة وَالَّتي كانت تشكِّل جزءًا لا يتجزَّأ من الموروث الثَّقافي للمجتمع اليمني على مرِّ السِّنين.

1. "الأخدام"

تتمحور رواية المقري الأولى، الأخدام (2008) حول طبقة الأخدام في اليمن. ويقصد فيها مجموعة سكَّانيَّة مسحوقة اجتماعيًّا، ومن اليهود كَذٰلِكَ[1]، وكما يقال في المثل الشَّعبي، على لسان أحد أبطال الرِّواية:" مَن صاحَبَ الخادم أصبح نادم"، " الخادم أنجس من اليهودي"، "اِغْسِلْ بَعْدِ الكَلْبْ واِكْسِرْ بَعْدِ الخادِمْ". شغلت هٰذِهِ الطَّبقة وظائف خدمة في الأساس واعتبرت فرقة منبوذة، ولم تكن تختلط في المجتمع اليمني العامّ، إنَّما سكنت أطراف المدن أو القرى. من نافل القول إنَّها كانت ممنوعة من الزَّواج من نساء المجتمع العامّ. المقري، الَّذي يصوِّر هٰذا المجتمع في أطراف مسقط رأسه "تعز"، يفضح الفساد المنتشر فيه، وَلٰكِنَّهُ وللحقّ يكشف عن ميول وتأييد لِهٰذا المجتمع ويتجاوز عن عيوبه اتِّجاهه من قبل البيئة "المحترمة". يظهر هٰذا الأمر جليًّا مع نهاية الرِّواية، حيث يدور الحديث عن رجلين من المجتمع العامّ اللَّذين تزوَّجا من امرأتين من الأخدام، في خطوة تتعارض مع الضَّوابط الاجتماعيَّة المتَّبعة، وَالَّتي لا يجرؤ أحد على خرقها. يدمج المقري، كعادته في رواياته، بحثًا تاريخيًّا عن أصل الأخدام.

[1]. للاستزادة حول هٰذِهِ المكانة في النَّسيج الاجتماعي اليمني، انظر: جمليئلي 1976; Seif 2005; 2010 Alhakami.

2. المرأة

رواية "حُرمة" (2012)، وَالَّتي تتمحور حول عدد من الشَّخصيَّات الأنثويَّة في اليمن الحضاري، تشكِّل "لائحة اتّهام" خطيرة ضدَّ المجتمع في تعامله مع المرأة. تضمُّ الرِّواية مشاهد جنسيَّة تهدف إلى كشف التَّلوُّن والتَّمييز في تعامل أوساط مختلفة مع المرأة، بما في ذٰلِكَ رجال دين بارزين. تظهر الشَّخصيَّات الأنثويَّة عاجزة وتابعة للرَّجل بشكل مطلق. ويشكِّل هٰذا التَّعلُّق دافعًا مفارقًا لممارسة جنسيَّة. يضاف إلى ما تقدَّم ما جاء من حوار بين عبد الله، أحد أبطال الرِّواية، وبين إحدى الشَّخصيَّات الأنثويَّة، عندما تجيبه بِأَنَّ عليه أن يكون زوجًا لامرأة واحدة فقط (ص121). وَهٰذا مثال واضح على النَّقد المقصود للأعراف الإسلاميَّة الَّتي تبيح تعدُّد الزَّوجات.

3. شرب الخمر

يبدو أَنَّ نصَّ " الخمر والنَّبيذ في الإسلام " هو الأجرأ بين كتابات المقري، لأنّه يزعزع تحريمًا خطيرًا في الدِّين الإسلامي. لا مكان هنا لانتقاد– مهما يبدُ لاذعًا- لممارسة رجال الدِّين أو من يمثِّلون الدِّين، إِنَّما هي رغبة في إثبات عدم صحَّة هٰذا التَّحريم الدِّيني. ومن الثَّابت أَنَّ مسألة المشروبات الكحوليَّة غير المصنَّعة من العنب، وَإِنَّما من أنواع أخرى من الفواكه، كانت وما زالت مثار جدل ونقاش بين علماء المسلمين حَتَّى يومنا هٰذا. لٰكِنْ في القرون الأخيرة حظيت مسألة شرب الخمر بتحريم مطلق دون مساومة وتحفُّظات أيًّا كان نوعها. ويعرض المقري، وفي هٰذِهِ المسألة تحديدًا وبصورة منهجيَّة، أدلَّة لتعزيز موقفه من المصادر الإسلاميَّة – القرآن، الحديث والسُّنَّة. لا يتوقَّف المقري عند أدلَّة من أدب السُّنَّة فحسب، بل يهتمُّ بالبحث والتَّنقيب عنها في المؤلَّفات التَّاريخيَّة والآداب، ذات المصداقيَّة الواضحة، وَالَّتي تبيّن أَنَّهُ في بلاط الخلفاء، والعبَّاسيّين منهم بصفة خاصَّة، أقيمت المجالس والمناسبات وقدِّمت فيها الخمر دون تقييد. يخلص الكاتب إلى نتيجة مفادها أنَّه وفقًا للقرآن والحديث لا عقوبة تذكر لشارب الخمر.

تعدُّ مقالة المقري ونتائجها الواضحة عن النَّبيذ في الإسلام، واحدة من التَّفاصيل الكثيرة الَّتي تؤكِّد موقفه العام نحو التَّقاليد الدِّينيَّة الإسلاميَّة، كما يظهر في تظهير الكتاب باسم النَّاشر: " واللَّافت أنَّ المؤلِّف يرى في الدِّين جوهرة، إعمال العقل والفكر والعلم. وهو بِذٰلِكَ أقرب إلى الدِّين من حرَّاسه المزعومين، حيث لا تكاد تخلو سورة في القرآن من الدَّعوة إلى التَّعقُّل والتَّعلُّم والتَّفكُّر إلخ ". من نافل القول، إنّ لموقف المقري هٰذا، من شرب الخمر وفقًا للإسلام، أهمّيَّة قصوى - although not in the present time but in the past - بِالنِّسْبَة لليهود في اليمن، وقد عملت السُّلطات اليمنيَّة، منذ القرن السَّابع عشر على الأقلِّ، على إنزال أشدِّ العقوبات فيهم عند ثبات تورُّطهم ببيع الخمور للمسلمين. ولا يرى المقري حقًّا وتبريرًا لمعاقبة اليهود بحجَّة بيعهم الخمور للمسلمين، وإن لم تذكر المسألة بشكلها المباشر عند الكاتب.

ت. خلفيَّة مؤلَّفه "اليهودي الحالي"

لا يبدي المقري اهتمامًا خاصًّا باليهود واليهوديَّة، مقارنة مع شرب الخمر في الدِّين الإسلامي أو مع الأخدام. يظهر اهتمامه باليهود واليهوديَّة من نظرة مواطن مواليد اليمن، بلد عاش فيه سكَّان يهود لهم مكانتهم الهامَّة من خلال الأدوار والمناصب الحيويَّة الَّتي شغلوها في اقتصاد البلاد، وَلٰكِنْ ليس إلى حدٍّ يرى فيها أقلِّيَّة تعاني عدم المساواة، بل وكانت عرضة للتَّمييز وهضم الحقوق. على كُلِّ حال، يرفض وبشدَّة، كلَّ موقف عدواني من قبل الإسلام التَّقليدي تجاه اليهود واليهوديَّة، ويعتبرهم متساوين. تشكِّل هٰذِهِ العقيدة جزءًا من الفلسفة الفكريَّة الاجتماعيَّة عند المقري، وغدت جزءًا لا يتجزَّأ من رواياته، وَالَّتي تأتي لتدافع عن الأقلِّيَّات أيًّا كانت دينيَّة، قوميَّة، اجتماعيَّة، أو جنسويَّة، كما لاحظنا في الفصل السَّابق.

كانت روايته الثَّانية بعنوان "اليهودي الحالي" (2009) المنبر الَّذي صرَّح من خلاله بموقفه هٰذا للمرَّة الأولى. كان ذٰلِكَ بعد أن أصدر في العام السَّابق لصدور هٰذِهِ الرِّواية (2008)، روايته الأولى "طعم أسود... رائحة سوداء". وَالَّتي من خلالها حاول أن يغرس في الوعي العام إشكاليَّة الأخدام في المجتمع اليمني. من المؤكَّد أنَّ مسألة تأقلم الأخدام في المجتمع اليمني مسألة أساسيَّة تستأهل

الاهتمام، موضوعيَّة وتتناسب مع زمن كتابة الرِّواية الَّتي تعالج الموضوع. بالمقابل، بقيت مسألة مكانة اليهود في المجتمع اليمني هامشيَّة تقريبًا، ومع تزامن تأليف رواية "اليهودي الحالي" وصدورها لم يُقِمْ في اليمن إِلَّا بضع مئات من اليهود، بعد أن تركها معظمهم ووصلوا أرض إسرائيل في بداية سنوات الثَّمانين من القرن التَّاسع عشر. يظهر، لِذٰلِكَ، بأنَّ التَّعامل مع اليهود واليهوديَّة في مؤلَّفات المقري لم يكن نابعًا من مواطنته اليمنيَّة فحسب، بل من انتمائه الدِّيني والقومي للإسلام وللشُّعوب العربيَّة. دليل واضح لما نقول يظهر في روايته "حرمة" (2012) الَّتي عالجناها سابقًا، وَالَّتي تتحدَّث عن فتاة تدعى شيرين، أسرت من قبل السُّلطات الإيرانيَّة، لتصريحها لصالح صحيفة بريطانيَّة بِأَنَّها تحبُّ شابًّا يهوديًّا في إيران ولا مانع، من وجهة نظرها، من أن تتزوَّجه. فيما يلي ترجمة القصَّة كما تنقلها بطلة الرِّواية (ص: 138-137):

"هناك نساء أُخرى لا يمكن نسيانهنَّ ... وشيرين الَّتي تتَّهمها السُّلطات بالتَّحريض ضدَّ النِّظام الإسلامي الإيراني بسبب خلعها الحجاب في تظاهرة للمعارضة، وتصريحها لصحيفة بريطانيَّة بِأَنَّها تحبِّذ شابًّا ينتمي للطَّائفة اليهوديَّة في إيران، وليس لديها أيُّ مانع من الزَّواج به. قالت لي بكلِّ ثقة: "المشكلة، بِالنِّسْبَة لي، ليست مع السُّلطة الإيرانيَّة، فأقصى ما ستقوم به هو قتلنا، ونحن كما ترون مقتولون في الحياة، لا نعيش، بل المشكلة لدى الشَّاب اليهوديِّ الَّذي لم يتجرَّأ مثلي ويعلن رغبته في الزَّواج بي". وأوضحت: "لم يستطع، ولو مجرَّد التَّصريح بالرَّغبة. في البداية كتب لي رسالة عبَّر فيها عن حُبِّه، ثمَّ عاد ورجاني أن أعيدها إليه خوفًا من أن تقع بيد أحد، مع تأكيده لي أنَّه ما زال يحبُّني، ومع الأيَّام لم يعد يقول لي كلمات الحبِّ بصوت مسموع، حين نلتقي، بدا أنَّه صار يخاف حَتَّى من الجدران، وكأنَّ بها، أو من ورائها، آذانًا. ثمَّ اتَّخذ من تحريك عينيه طريقة للتَّعبير عن حبِّه لي، لٰكِنَّ عينيه في الوقت نفسه ظلَّتا تتحرَّكان في اتِّجاه آخرين كانوا يعبرون الشَّارع أو يجلسون خلف النَّوافذ وعلى السُّطوح وفي المقاهي، خشية من أن يكون أحدهم يراقبنا، أو حَتَّى بعد أن يرانا". بقيت شيرين تعيد على مسمعي قصَّتها كلَّما قابلتني، وكأنَّها تريد أن تحفِّظني إيَّاها. بدت واثقة من أنَّني سأخرج

من السِّجن، ومعي ستخرج قصَّتها، أكثر من وثوقها بخروجها: "لقد كنتُ أحسُّ بأنَّه صادق في حبِّه لي، رغم كلِّ العوائق والكتمان، فبادلته الحبَّ. لِهٰذا، حين أخرج من هٰذا السِّجن، إذا خرجت حيَّة، فسأذهب، أوَّلًا، لزيارة قبره، فقد انتحر حين سمع باعتقالي. ربَّما، خاف أن يأتوا إليه، إذا بحث باسمه، ويعتقلوه مثلي، مع أنَّه بقي معتقلًا طوال حياته، لقد ظلَّ الخوف يعتقل سنوات عمره، ولم يستطع أن يتحرَّر منه حَتَّى في موته، إذْ لم يعلن لماذا انتحر".

عنوان الكتاب "اليهودي الحالي" لم يكن صدفة، وما هو إلَّا ترجمة للعنوان الفرعي لكتاب Clotilde de Lusignan ou, Le Beau Juif (باريس 1822) تأليف الكاتب الفرنسي المعروف أونوريه دي بلزاك (1799-1850)، رواية شباب جنسيَّة- قصَّة عشق جمعت بين شابٍّ يهودي وسيم يدعى نفتالي، وهو ليس سوى المغامر جوستن الثَّاني، أمير بروفنس، وبين Clotilde de Lusignan ابنة Jean ملك قبرص الكبرى (الشَّخصيَّات كلُّها خياليَّة!)، رغم أنَّ الفتاة تدرك تمامًا أنَّهُ لا يمكنها أن ترتبط بشابٍّ من عامَّة الشَّعب (paria)[1].

على ما يبدو، الحبكة في رواية المقري تشبه قصَّة حبٍّ من القرن السَّابع عشر في مدينة ريدة شمال جنوبيّ صنعاء، جمعت العلاقة بين فتاة مسلمة مثقَّفة-فاطمة ابنة مفتي المدينة، وبين شابٍّ يهوديٍّ وسيم يدعى سالم الَّذي أرسله والده لبيت والدها، حيث كان ينجز حِرَفًا مختلفة فيه. أطلقت عليه "اليهودي الحالي" منذ أن رأته للمرَّة الأولى، واستمرَّ ذٰلِكَ طيلة الفترة الَّتي مكث فيها عندهم، ومن هنا كان عنوان الرِّواية. يبدو أنَّ فضاء الرِّواية (مدينة ريدة) لم يكن صدفة، بل يهدف إلى إضفاء الزَّمن الحاضر على الأحداث والنَّاحية الفكريَّة الَّتي لمَّحنا إليها سابقًا. الجالية اليهوديَّة في هٰذِهِ المدينة لم تعدُّ من خيرة الجاليات في تاريخ يهود اليمن، إلَّا أنَّها اكتسبت أهمِّيَّة خاصَّة مع نهاية القرن العشرين تحديدًا، عندما غدت الجالية الكبرى لمن بقي من اليهود في اليمن. من الجدير ذكره، أنَّه في شهر نوفمبر 2007، سنتين قبل من صدور رواية "اليهودي

[1]. حول هٰذِهِ الرِّواية أُنظر: Lorant 1976.

الحالي"، أثار زواج يهوديَّة من شابٍّ مسلم ضجَّة كبيرة، وهي تدعى نينوة ابنة سليمان يحيى دافيد. أبناء الجالية اليهوديَّة طالبوا بإبطال هٰذا الزَّواج بحجَّة أَنَّهُ فرض عليها عنوة، كما طلبوا تدخُّلًا من جانب السَّفارة الأمريكيَّة وأقربائها من إسرائيل، وقدَّموا عرضًا لدفع فدية تقدَّر بخمسمائة ألف ريال لتحريرها، لٰكِنَّ الفتاة من ناحيتها صرَّحت أَنَّ الأمر تمَّ بموافقتها، وَلِأَنَّها بلغت الثَّامنة عشرة فترى أَنَّهُ من حقِّها أن تقرِّر مستقبلها كما تراه هي. وَهٰكَذا انتهت المسألة.

على كُلِّ حال، يعتمد المقري تقنيَّة الاسترجاع ليعود بالأحداث إلى القرن السَّابع عشر بهدف تأكيد البعد التَّاريخي للرِّواية، كما يسعى إلى ترسيخ مبدأ المساواة، الَّذي يشكِّل أساسًا للنَّصِّ بصفة عامَّة، من خلال صياغة الأحداث حول العلاقة الغراميَّة بين الفتاة المسلمة واليهودي. يلاحظ من خلال النَّصِّ أَنَّ الشَّخصيَّة المركزيَّة لم تكن "اليهودي الحالي"، كما هو متوقَّع ومفترض بإيحاء العنوان من ناحية، ومن حقيقة كونه (اليهودي الحالي) الرَّاوي في النَّصِّ من ناحية ثانية. إِلَّا أَنَّ (الشَّخصيَّة المركزيَّة) ليست إِلَّا فاطمة المسلمة. من نافل القول، إنَّ دلالة الاسمين للفتاة والشَّابِّ يمثِّلان الدِّيانتين بشكل لافت. فاطمة هي ابنة النَّبي محمَّد صلى الله عليه وسلم من زوجته الأولى خديجة، وزوجة ابن عمِّه عليّ، تعتبر فاطمة مقدَّسة عند الشِّيعة، وتحظى عندهم بصفة "العصمة" كما هو الحال للأنبياء والأئمَّة، بمعنى أنّها منزّهة عن الخطأ. أمَّا سالم- فهو اسم الحاخام شالوم الشّبزي، أكثر الشَّخصيَّات احترامًا عند اليهود اليمنيّين وأكثرها شهرة لدى المسلمين في هٰذِهِ البلاد، ولها حضور في النَّصِّ كَذٰلِكَ، كما سنرى لاحقًا[1].

(1). Yemen Press 7 بتاريخ 18 أيّار 2013 (https:// yemen-press.com/news19245.html)

ث. إطار الحبكة في رواية "اليهودي الحالي"

تبدأ أحداث الرِّواية "اليهودي الحالي"، برواية البطل سالم اليهودي، في الإشارة إلى السَّنة الهجريَّة، كما هو متَّبع في كتب "التَّاريخ" العربيَّة في اليمن (ص:7): "ودخلت سنة أربع وخمسين وألف فيما يؤرِّخ به المسلمون للزَّمن". واهتمَّ الكاتب المقري بالإشارة في الهوامش، بِأَنَّها سنة 1644 للميلاد. ولم تكن هٰذِهِ الإشارة اعتباطيَّة بل يقصد فيها سنة تولِّي الإمام إسماعيل المتوكِّل الحكم، وَالَّذي حظي بدورٍ هامٍّ في الرِّواية، كما سيظهر لاحقًا. يقول الرَّاوي متابعًا، بِأَنَّهُ في هٰذِهِ السَّنة قرَّر سرد حكايته الَّتي تعود أحداثها لسبع سنين خلت، عندما أحضر، بإيعاز من والده، حزمة من الحطب للتَّدفئة لبيت المفتي المسلم في القرية. وكما هو معلوم، فتحت فاطمة ابنة المفتي له الباب، ونادته "باليهودي الحالي"، وهو اللَّقب الَّذي نادته به طيلة الوقت.

رويدًا رويدًا تطوَّرت العلاقة الغراميَّة بين الفتاة المسلمة والشَّابِّ اليهودي، وقد توطَّدت هٰذِهِ العلاقة بفعل الثَّقافة المتبادلة بينهما: علَّمته القراءة والكتابة العربيَّة، وَهٰكَذا كان شأنه معها في اللُّغة العبريَّة. قرَّرا الزَّواج في نهاية المطاف، لٰكِنْ ليس وفق المذهب الإسلامي ولا اليهودي كَذٰلِكَ، حيث يلزم كلُّ طرف بالتَّنازل عن ديانته لصالح الأخرى، بل وفقًا 'لمذهب فاطمة' المثقَّفة، حيث وجدت في أحد كتب التَّشريع الإسلاميَّة إجازة بزواج اليهودي من المسلمة. واصل الزَّوجان العيش كلٌّ حسب دينه، لٰكِنْ مع تفاقم الملاحقة من جانب أهل القرية-مسلمين ويهود على حدٍّ سواء-لجأ الزَّوجان إلى العاصمة صنعاء.

وَلٰكِنْ بعد تسعة أشهر، وللأسف الشَّديد، تعسَّرت ولادة فاطمة لابنها البكر وماتت، وبقي سالم مع ابنه المولود حديثًا، وهو في شكٍّ من قدرته على تربيته. لم تلق توجُّهاته المتكرِّرة لأقربائه وأقرباء زوجته المتوفَّاة، إِلَّا الرَّفض المشوب بالعدوانيَّة والتَّهديد، حيث ينسب كلُّ طرف المولود للدِّيانة الأخرى-اعتبره المسلمون، وفقًا لدينهم، يهوديًّا نسبة لأبيه اليهوديِّ، بالمقابل اعتبره اليهود مسلمًا نسبة لأمِّه المسلمة. قرَّر سالم اعتناق الإسلام رغبة في الدَّعم والمساندة من الأقارب من ناحية، واحترامًا لزوجته المسلمة من ناحية ثانية. كان عليه لِذٰلِكَ أن يَمْثُلَ أمام الإمام إسماعيل المتوكِّل، حيث قَصّوا له الزُّنّارين وأعطي اسمًا مسلمًا-عبد الهادي. وحمل الرَّضيع اسم "سعيد"

الَّذي أطلقه عليه والده، ولم يتغيَّر لِأَنَّهُ مقبول عند الطَّرفين على حدٍّ سواء، وقد عثروا له على مرضعة في صنعاء، يهوديَّة أصلها من بلدة ريدة تدعى صبا ومتزوَّجة من مسلم.

وَهٰكَذا انتهت، على ما يبدو، الرِّواية الغراميَّة بين سالم "اليهودي الحالي" وبين فاطمة ابنة المفتي. لٰكِنْ من ناحيته لا يكتفي الكاتب المقري، بصفته مثقَّفًا وكنهجه في أعماله الرِّوائيَّة الأخيرة، في الحبكة الخياليَّة للنَّصِّ ولا بالشَّخصيَّات الخياليَّة كَذٰلِكَ، بل يضعها في إطار تاريخي-اجتماعي، على نحو ما أشرنا إليه سابقًا. اعتبرت فترة حكم الإمام إسماعيل المتوكِّل الأصعب في تاريخ اليهود في اليمن على الإطلاق، والمقري، كمن عاين بشكل مكثَّف ودقيق في أدب التَّأريخ الَّذي يعنى بأحداث هٰذِهِ الفترة تحديدًا، يوفِّق تمامًا في توظيف الحبكة الخياليَّة في إطارها التَّاريخي. وَهٰكَذا يبدأ المؤلَّف الخيالي "حوليَّات اليهود اليمانيَّة" تأليف سالم "اليهودي الحالي" حول تاريخ اليهود إبَّان حكم الإمام. والكتاب تقليد بدرجة عالية من الجودة لمؤلَّفات "التَّأريخ" اليمنيَّة، يقول المقري، على لسان سالم-بدرجة تبتعد عن الأصل من حيث الدِّقَّة أحيانًا[1] -بأنّه في شهر رجب من سنة 1077 للهجرة (ديسمبر 1666 – يناير 1667) وصلت اليمن أنباء عن المسيح المخلِّص شبتاي صفي (شبتاي تسفي) كان اسمه، وفيما يلي ذٰلِكَ كان وصفًا لتسلسل الأحداث منذ أن قصد سليمان الجمل حاكم صنعاء مطالبه بالتَّنحِّي وأمر الحاكم بقتله وَحَتَّى طرد اليهود إلى مَوْزَع وعودتهم من منفاهم (ص: 138-115).

تنخرط قصة سالم الشَّخصيَّة في الأحداث العامَّة ليهود اليمن عندما يرافق المنفيِّين إلى مَوْزَع-بعد أن طلب إذنًا بالخروج من حاكم صنعاء-تعاطفًا مع مصيرهم البائس. ولم يكتف بِذٰلِكَ بل جلب معه دابَّتين ليهوِّن على المنفيِّين مشقَّة السَّفر. وبينما هو كَذٰلِكَ، يسرد المقري، على لسان سالم حادثة للمنفيِّين تثير الشَّفقة، وَمِمَّا يصعب أن تعثر لها على مثيل حَتَّى في المصادر اليهوديَّة، بما في ذٰلِكَ أغنية "وصلنا هاتف الألحان" للشَّاعر سالم الشّبزي[2] (ص: 134-133):

---

[1]. للاستزادة في وصف هٰذِهِ الأحداث وفقًا للمصادر العربيَّة في اليمن انظر: طوبي 1986، ص 144–150; طوبي 1995، ص 32 – 42 ; طوبي 2001; Koningsfeld, Sadan & Samarrai 1990; Sadan 1990.

[2]. هاليفي 1995/2003، مجلَّد أ، ص 331 – 333.

"اشتريت حمارًا واستأجرت آخر. أردت مساعدة المسافرين الفقراء على حمل أمتعتهم، وركوب أحدهما، إذا تعبتُ من المشي، لٰكِنْ ما أردته لم يتحقَّق، كان هناك الكثير من النِّساء المسنَّات المحمولات على الظُّهور، ورجال كبار يَحْبون كالأطفال، لا يستطيعون الوقوف أو المشي خطوة واحدة، نساء حوامل مع أطفال رُضَّع، ومرضى لا عدَّ لهم. ما الَّذي يمكن لحمارين عمله؟

اكتفيت بتسليمهما لأقرب محتاجَيْن، رجلٍ مُسنٍّ لا يستطيع المشي، وامرأة تعاني من آثار سقوط جنينها. حدث ذٰلِكَ، كما قالت، بعد بقائها ليلة بدون غطاء يقيها من البرد".

قابل سالم، بين المنفيّين، أقرباءه الَّذينَ تنكَّروا له عندما طلب مساعدتهم في تربية ابنه بعد موت زوجته فاطمة. لٰكِنَّ المفاجأة الكبرى كانت عندما رأى ابنه سعيدًا يمشي بجانب الحمار الَّذي يقلُّ المرأة الَّتي أجهضت، وتبيَّن له أَنَّ ابنه متزوِّج من يهوديَّة. عندما سأله أبوه عن سبب عدم إخباره بحدث الزَّواج هٰذا، أجاب الابن بِأَنَّهُ لم يشأ أن يزعجه، بأنَّ زوجته كَذٰلِكَ، المدعوَّة فاطمة، غير معرَّفة الهُويَّة: أمُّها يهوديَّة، لٰكِنَّ أباها مسلم.

يحمل الفصل الأخير من الرِّواية عنوان " أنا حفيد اليهودي الحالي... حفيد فاطمة" (ص: 139-149). يحدِّث، في هٰذا الفصل، الحفيد إبراهيم، ابن سعيد وفاطمة، فيقول إنَّه وُلد بعد عودة منفيّي مَوْزَع لصنعاء، وقد عانى هو كَذٰلِكَ لفترة معيَّنة من اضطراب وغموض حول هُويَّته-يهودي أم مسلم، حَتَّى وصل إلى نتيجة بأنَّ نسبه يعود لجدِّه "اليهودي الحالي" وجدَّته فاطمة. ولا شكَّ أنَّ دلالة الاسم "إبراهيم" لها رمزيَّة خاصَّة- إبراهيم هو أب الشَّعب الإسرائيلي وأب الأمَّة الإسماعليَّة، اليهوديَّة والإسلام وقف منه، وفقًا لمعتقد المسلمين. يضيف الحفيد فيقول، إنَّ أباه سعيدًا كان قد طلب دفن جثَّة والدته فاطمة في مقبرة يهوديَّة، لٰكِنَّها دفنت خارج الحدود المقرَّرة للمكان، وعندما طلب دفنها في مقبرة إسلاميَّة، أخرجوا رفاتها من قبرها وألقوه بعيدًا. تنتهي الرِّواية بحدث عجائبي: يظهر الابن-الأب سعيد وبيده صرَّة فيها بقايا جثَّتي الجدِّ "اليهودي الحالي" وزوجته فاطمة، اللَّذَين لم تقبلهما المقبرة اليهوديَّة ولا الإسلاميَّة، واختفى وهو في طريقه لمكان مجهول!

ج. "اليهودي الحالي" أو "مذهب فاطمة"

يقول الرَّاوي سالم "اليهودي الحالي" في نهاية افتتاحيَّة الرِّواية (ص: 7):

"ودخلت سنة أربع وخمسين وألف في ما يؤرّخ به المسلمون للزَّمن. وفيها، بعد أن عصفت بي رياح الدَّهر ونكبني الموت، قرَّرت أن أدوِّن هٰذِهِ الأخبار عن أيَّام فاطمة، وزمنها، حَتَّى هٰذِهِ السَّنة الَّتي تزوّجت فيها حُلمًا، لننجب توأمين: أملًا وفجيعة".

يعدُّ هٰذا الاقتباس تصريحًا واضحًا لا يقبل الشَّكَّ بأنَّ محور النَّصِّ هي فاطمة لا سالم "اليهودي الحالي". ولم تكن فاطمة هٰذِهِ مجرَّد شابَّة من أبناء المجتمع المسلم في اليمن، بل تمثِّل فلسفة الكاتب المقري. "يستغلُّ" المقري شخصيَّتها، أقوالها وأفعالها، للتَّعبير عن رؤيته المثاليَّة للمجتمع الإنساني في القرن الواحد والعشرين. مثَّلت الشَّخصيَّات الأخرى المتبقِّية الشَّرَّ والسَّلبيَّ من ناحية، أو مثَّلت الإيجابيَّة والمقبول من ناحية أخرى، ولم تحد هٰذِهِ الشَّخصيَّات الإيجابيَّة عن طريق فاطمة. لم يكن سالم مَن أوجد حلًّا لحياة مشتركة، تحت سقف واحد، عائلة واحدة، لزوجين ديانتهما مختلفة. بل كانت هي فاطمة مَن اقترحته وحقَّقته. تبعها سالم وتبنَّى موقفها. يلخِّص سالم هٰذا الموقف بكلمات ثلاث، بعد أن خذله اليهود والمسلمون على حدٍّ سواء في سؤال مساعدته في تربية سعيد الَّذي تيتَّم ساعة ولادته (ص: 102): "الحبُّ والمسامحة والسَّلام هي طريقها". وقد رفض، خلال مراسيم إشهار إسلامه، في حضرة الإمام إسماعيل المتوكِّل، أن ينتمي لأحد المذاهب الأربعة في الدِّين الإسلامي واختار "مذهب فاطمة" رغم أنَّهُ لم يجرؤ على التَّصريح بِذٰلِكَ علنًا أمام ممثِّلي السُّلطة ورجال الدِّين (ص: 109). أضف إلى ذٰلِكَ، لم يسعفه إعفاؤه، من قبل الإمام، من فريضة الختان الثَّاني מילה שנייה الملزمة في الدِّين الإسلامي، من قصِّ زُنَّاريه، كونهما رمزًا صارخًا "لليهودي الكافر"، كنهج أهل اليمن. لٰكِنْ ما هو إحساسه عندما أجبر على ممارسة تدلُّ على أنَّهُ ضاق ذرعًا باليهوديَّة، الأمر الَّذي يتماشى مع نهج فاطمة، مع "مذهب فاطمة" (ص: 108-109)؟

"عندما قصُّوا الزُنّارين، شعرت كأنّهم قصُّوا كلمات فاطمة، تلك الَّتي كانت تقولها أثناء مسحهما بيدها".

لم يرق الاسم "عبد الهادي" لسالم وَالَّذي فرض عليه فرضًا، فقد كان يؤطِّره في إطار دينيٍّ واضح لا يتَّفق مع "مذهب فاطمة". وإذا كان له أن يختار كما يروق له، كان يلقِّب نفسه "متيَّم فاطمة" (ص: 107).

يعود المقري ليؤكِّد من جديد أنَّ المساواة بين النَّاس، مهما اختلفوا، كانت طريق فاطمة الحقيقي. عندما أخبر سعيد والده أنَّه تزوَّج من فاطمة ابنة صبا اليهوديَّة، تمامًا مثلما فعل والده مع أمِّه فاطمة، أجاب الأب ابنه: " ليست طريقتي معها، هي طريقة أمِّك، وحدها، طريق فاطمة" (ص: 136).

لم يقطع سالم صلته وتعاطفه مع أبناء مجتمعه من اليهود، رغم وفائه لطريق فاطمة وحياته داخل المجتمع الإسلامي. ولم يتركهم ساعة المحنة وآلمه ما أصابهم وخرج معهم إلى مَوْزَع ليتحمَّل عنهم قسطًا من المشقَّة والتَّعب. وَهٰكَذا خرج سعيد، نجل سالم وفاطمة، وزوجته فاطمة، مع النَّازحين، كما يصرّح لوالده: "قرَّرنا الرَّحيل مع اليهود، بعد أن صارت حُبلى بالشَّهر الثَّالث. قلنا إنَّنا يهوديَّان. أيضًا هي من جهة الأمِّ وأنا من جهة الأب. وكما ترى، في هٰذا الحشد لن يسألنا أحد من أنتما؟" هٰكَذا ردَّ الأب سالم لابنه، في منطقه الفلسفيِّ المتأثِّر من فكرة المساواة الخاصَّة بزوجته فاطمة (ص: 136-135):

"صحيح، المصائب والآلام توحِّد النَّاس. يصبحون متساوين مهما اختلف دينهم، أو أصلهم، أو لونهم، أو جنسهم".

انتقل هٰذا التَّعاطف مع المسلمين واليهود على حدٍّ سواء بالوراثة إلى الحفيد إبراهيم. عاش سنوات عدَّة في حيرة من هُوِيَّته، حَتَّى وصل لقرار بسيط: "فأنا من فاطمة واليهودي الحالي، وإليهما أعود. هما أصلي القديم، وسلالتي القادمة" (ص: 143).

يمكن أن نستدلَّ من مواضع كثيرة في الرِّواية منذ بدايتها حَتَّى نهايتها، على تعاطف المقري الفلسفي-الفكري مع شخصيَّة فاطمة. عندما أعرب والد سالم عن قلقه من أَنْ تعلِّم فاطمة ابنه القرآن، أجابته (ص: 16-15):

"ما درَّسته، هو علوم في اللُّغة العربيَّة، حَتَّى يعرف القراءة والكتابة. أنا أعرف أنَّه يهوديٌّ، لكم دينكم ولنا ديننا. لا توجد مشكلة. كلُّنا من آدم وآدم من تراب. اللُّغة ليس فيها دين فقط، فيها تاريخ وشعر وعلوم. أقول لك، والله، توجد كتب كثيرة في رفوف بيتنا، لو قرأها المسلمون سيحبُّون اليهود، ولو قرأها اليهود سيحبُّون المسلمين".

وعن سؤالها إذا كانت تفضِّل سماع الموسيقى اليهوديَّة أم العربيَّة، أجابت (ص: 46-45): "اِسمع لا يوجد شيء اسمه فنٌّ يهوديٌّ، أو فنٌّ عربيٌّ... يوجد فنٌّ فقط، فنٌّ أو لا فنٌّ".

يتَّضح مِمَّا تقدَّم أَنَّ أفضل عنوان للرِّواية هو "مذهب فاطمة"، كونها الشَّخصيَّة الَّتي تحرِّك الحبكة كلَّها، في حياتها ومماتها على حدٍّ سواء. ومن فمها وأفعالها يبلور المقري أفكاره في المساواة، الَّتي لا تفرِّق بين البشر على أساس دينهم، أصلهم، نسبهم وجنسهم. وَهٰكَذا يصرِّح الكاتب أَنَّ عقيدته عالميَّة خالصة، فأقواله موجَّهة في الأساس إلى أبناء شعبه وأبناء دينه المسلمين، لا من سلطته في الكتابة العربيَّة فحسب، بل من حقيقة أنَّ الشَّخصيَّة المسلمة الَّتي تحمل اسمًا رمزيًّا "فاطمة" ابنة النَّبي محمَّد صلى الله عليه وسلّم، نبيّ الإسلام، والمحبوبة عند المسلمين، تلهمه أفكاره. وما أبرز رسالة التَّسامح الدِّيني اتِّباعه الاسم "اليهودي"، وهو مرادف "للكافر" وفقًا للعقيدة الإسلاميَّة، الصِّفة المحمودة "الحالي"، وقد أفرد له مكانة تزيده تقديرًا في عنوان الرِّواية. كلُّ ذٰلِكَ خلافًا للصِّفات السَّلبيَّة الَّتي تلحق بالاسم "اليهودي"، المعروفة جَيِّدًا من الأدب الإسلامي على مرِّ العصور.

ح. رواية "بخور عدني": رؤية المقري العالميَّة

يصوِّر المقري، في روايته "اليهودي الحالي"، نظرته الشَّاملة للمساواة، على لسان الحفيد إبراهيم، نظرة تتعدَّى حدود المسلمين واليهود، كما يظهر في اضطراب الحفيد وتخبُّطه المتواصلين فيما يتعلَّق بهُوِيَّتِه، حَتَّى استقرَّ به الأمر في هٰذِهِ المسألة (ص: 142):

"لازمني هٰذا السُّؤال خمس سنوات حَتَّى صرت أعرف الإجابة تمامًا. أمضيتها مع جدِّي لأتعلَّم من اللُّغتين العبريَّة والعربيَّة، ثمَّ الدِّيانات اليهوديَّة والإسلاميَّة والمسيحيَّة، وبعض المعارف عن البوذيَّة والتَّاويَّة والكنفوشيسيَّة، والأساطير البابليَّة والإغريقيَّة والآداب العربيَّة والفارسيَّة والهنديَّة".

وَهٰكَذا يربط المقري بين ماهيَّتين مركزيَّتين في عقيدته الفلسفيَّة، لا وجود لواحدة في غياب الأخرى، لِأَنَّ كلَّ واحدة منهما تتشكَّل من الأخرى: المساواة والثَّقافة. يتعذَّر على المرء أن يكون حاملًا لآراء تنادي بالمساواة والتَّساوي ويجهل الثَّقافات والحضارات الأخرى: مَن كان مطَّلعًا على ثقافات العالم المختلفة يمكنه أن ينادي بالمساواة، وبالمقابل مَن كان مؤمنًا بفكر المساواة والتَّساوي يسعى لإدراك الثَّقافات المختلفة انطلاقًا من إيمانه بالمساواة.

يتساوى هٰذا التَّوجُّه مع شخصيَّة فاطمة في رواية "اليهودي الحالي"، شخصيَّة المرأة المثقَّفة- بالرَّغم من أَنَّها لا تمثِّل المجتمع الإسلامي بصفة عامَّة ولا في اليمن بصفة خاصَّة، لٰكِنَّها تتعامل بمساواة مطلقة، تصل حدَّ التَّعلُّق بفتى يهوديٍّ محسوب على الطَّبقة المسحوقة من المجتمع الإسلامي في اليمن. ليس هٰذا فحسب، بل هي الَّتي تبادر لتثقيفه وتوسيع مداركه من خلال تعليمه اللُّغة العربيَّة الَّتي تمثِّل ثقافة "الآخر"، الَّذي ينظر باستعلاء الأغلبيَّة الإسلاميَّة على الأقلِّيَّة اليهوديَّة ويُبقي على مسافة منها، إضافة إلى حرصها كَذٰلِكَ على تعلُّم ثقافة "الآخر"، لتوسِّع من ثقافتها ومعارفها. وقد أشرنا سابقًا، أَنَّ تجسيد المقري لأفكاره الفلسفيَّة هٰذِهِ من خلال شخصيَّة امرأة مسلمة يؤكِّد رسالته الموجَّهة أَوَّلًا للمجتمع الإسلامي في اليمن، وعليه يحدِّد ثلاثة أهداف: مساواة جنسويَّة (نساء ورجال) - ولها (للمساواة) خصَّ روايته "حرمة"،

مساواة اجتماعيَّة – طبقيَّة ولها خصَّ روايته "طعم أسود... رائحة سوداء"، اكتساب ثقافة واسعة عالميَّة تتجاوز حدود الدِّين، اللُّغة، القوميَّة والزَّمن.

نظرة المقري العالميَّة، وَالَّتي يشار إليها في جملة واحدة في النَّصِّ المذكور، تحتلُّ بالمقابل مساحة كبيرة في روايته الأخيرة من سنة 2014، "بخور عدني". أسهب المقري في هٰذِهِ الرِّواية الطَّويلة، 335 صفحة بمقدار الضِّعف أو الضِّعفين عن روايته السَّابقة، ورسَّخ في التَّفصيل والتَّكثيف نظرته الثَّقافيَّة-الإنسانيَّة الشَّاملة. الرِّواية تستأهل البحث والقراءة، بفضل الأفكار العامَّة الممثَّلة فيها والمتعلِّقة بفكرة الوطن والمساواة العالميَّة الشَّاملة من ناحية، وموقف الكاتب من دمج مدينة عدن فيما يعرف باتِّحاد السَّلطنة الخاصِّ باليمن الجنوبي والنِّظام الشُّيوعي السَّائد فيها من ناحية ثانية، إضافة إلى دور اليهود في حبكة الرِّواية والمنظومة الفلسفيَّة الَّتي يفترض أن يمثِّلها. نظرًا لتعذُّر عرض هٰذا النِّقاش المطوَّل في هٰذا السِّياق[1]، نذكر فيما يلي ملخَّصًا يهتمُّ في مسألة دمج القضيَّة اليهوديَّة في الرِّواية.

تعرض في هٰذِهِ الرِّواية حالة مثاليَّة واضحة للتَّعايش بين أبناء الدِّيانات والمعتقدات المختلفة- المسلمين، اليهود، النَّصارى، الهنود بوذيِّين، زرادشتيِّين، أتباع كنفوشيوس وأصحاب معتقدات أخرى، إلى جانب الملحدين المنكرين للعقيدة والدِّين، في المدينة العالميَّة عدن الَّتي فتحت ذراعيها للإنسان أيًّا كان، تجسِّد هٰذِهِ الحالة من خلال علاقات وقصص غراميَّة.

عبَّر المقري، في مقابلة أجريت معه في مجلَّة "عدن المستقبل" بتاريخ 22 حزيران 2014، عن "عقيدته" الخاصَّة بفكرة المساواة وحرِّيَّة الإبداع[2]:

روايتي الجديدة "تبحث عن معنى الوطن" في مدينة كانت حَتَّى وقت قريب مقصدًا لكلِّ الباحثين عن حياة مختلفة. الرِّواية تسرد عوالم هٰذا التَّعايش وإمكانيَّاته في عدن، حيث

(1). هٰذا الحوار معتمد في مقالة مستقلَّة يفترض أن تنشر في مكان آخر.

(2) http://www.alwatan.com.sa/Culture/News_Detail.aspx?ArticleID=191988&CategoryID=7

كان للإدارة الهنديَّة التَّابعة للاستعمار البريطاني أثر على تكوين مجتمعها، إذ شكَّل الهنود والصُّوماليُّون والعرب واليهود والزَّرادشتيُّون الفرس والأوروبّيُّون ملامح هٰذا المجتمع وطريقة عيشه. تتمثَّل إمكانيَّات هٰذا التَّعايش في عدم وجود الواجبات "الوطنيَّة" السُّلطويَّة، الَّتي لم تعد مقبولة، وفي حرّيَّة الاعتقاد والتِّجارة وإنتاج الفنون، سواء تلك المعبّرة عن الهُوِيَّات الثَّقافيَّة أو الخارجة عنها. وتتجلَّى إمكانيَّات التَّعايش، أيضًا، في الحبِّ والزَّواج المختلط من كُلِّ الأعراق والثَّقافات، وفي تجاور المساكن بأحياء لا يقتصر العيش فيها على فئة معيَّنة، مثل "الحيّ اليهودي" في عدن الَّذي وإن كان قد عُرف بِهٰذا الاسم، فَإِنَّهُ لم يكن يشبه تجمُّعات الغيتو اليهوديَّة المنغلقة في معظم البلدان، إذ سكن في الحيّ نفسه المسلمون والمسيحيُّون والهندوس والزرادشتيُّون وغيرهم. مهدِّدات التَّعايش، الَّتي تتجلَّى في العبء الأسطوريّ للتَّاريخ وربطه بالهُوِيَّة الدِّينيَّة والقوميَّة والوطنيَّة، وهي هُوِيَّة متغيّرة تقدِّم في كُلِّ زمن أجوبتها الشُّموليَّة عن كُلِّ شيء، يتساوى بِذٰلِكَ رجال الدِّين والثُّوَّار الوطنيُّون أو القوميُّون، كمفهومهم للوطن وحدوده وسلطته السِّياسيَّة. وَهٰذا المهدِّد للتَّعايش ينمو أكثر مع وجود سلطة استعماريَّة تحتكر الإدارة السِّياسيَّة والوظيفيَّة وتنفرد بوضع شروط الحقّ في العمل والمشاركة المجتمعيَّة.

يقول المقري إنَّ الرِّواية إعادة لتاريخ يمتدُّ بين منتصف سنوات الأربعين من القرن الماضي حَتَّى بداية سنوات السَّبعين. وَلٰكِنَّهُ ينوّه إلى أنَّ الرِّواية ليست تاريخيَّة، إنَّما رواية تعرض جوانب معيَّنة من التَّاريخ الاجتماعي والسِّياسي بواسطة المحكِّ الأدبي، فلا يتعدَّى الطَّرح التَّاريخي في الرِّواية بضع فقرات أو سطور. يرى المقري أنَّه بإمكان الكاتب استعادة حدث ما إذا كان يخدم، في وصفه الدَّقيق، توصيف المسألة الإنسانيَّة الَّتي يعالجها.

تدور الحبكة في الرِّواية حول مجموعة من الشَّباب، رجال ونساء، ينتمون لديانات مختلفة، من أصول محلِّيَّة وأوروبّيَّة، يمضون معظم أوقاتهم في الملهى اللَّيلي في مدينة عدن. تعتمد هٰذِهِ المجموعة، إضافة إلى الملهى، لعرض الأحداث التَّاريخيَّة وأفكار المقري الدَّاعية للمساواة. تصاعد الحبكة العامُّ يكمن في التَّحوُّل الهائل الَّذي يصيب الجماعة والمكان على حدٍّ سواء، فقد

"تقوَّضت" الحالة المثاليَّة هٰذِهِ بعد إغلاق الكازينو وتدميره. تصوِّر الحبكة في بداياتها عدن في ظلِّ الحكم البريطاني، في النِّصف الثَّاني من سنوات الأربعين في القرن العشرين، حين كانت تسود المدينة مساواة دينيَّة، وقوميَّة وجنسويَّة. ما يهمُّنا أكثر حقيقة أنَّ العامل اليهودي كان بارزًا في الجماعة السَّابقة: صاحب الملهى يهودي، مديرته ابنة لأمٍّ يهوديَّة تزوَّجت من مسلم وترعرعت بينهم، والشَّخصيَّة المركزيَّة في الفعاليَّات التَّرفيهيَّة في الملهى هي المغنِّية اليهوديَّة "شمعة". يظهر تعاطف المقري البارز مع الشَّخصيَّة من خلال مركزيَّتها في الأحداث، إضافة إلى حرصه على ذكرها في تظهير الرِّواية:

"في عدن الَّتي تعيش حياة غنيَّة بتنوُّعها سيسير خلف سحر ماما الَّتي غدت بأحلامها ضمير المدينة ودليله إلى خفاياها، وصوت شمعة، المغنِّية اليهوديَّة الَّتي ترسم بصوتها حدود مدينة مترامية الأطراف. يمضي ليصبح جزءًا من تاريخ عدن الثَّائرة على الاحتلال، وَالَّتي راحت تفقد ذاكرتها، بما فيها دكَّان اليهودي الَّذي كان مخزن أسرارها وحافظ مشاعر أبنائها من الحبِّ والذَّوق واللَّوعة. رواية عن التَّاريخ والسِّحر والحبِّ والثَّورة. تبحث عن معنى الوطن في مدينة كانت حَتَّى وقت قريب وطنًا لكلِّ القادمين إليها، محروسين بصوت شمعة الدَّافئ وأحلام ماما الَّتي لا تنتهي"

أغلب الظَّنِّ أنَّ المقري استعار الاسم "شمعة"، الشَّائع بكثرة بين يهود اليمن، من اسم المغنِّية اليمنيَّة شوشانه طوبي المولودة في اليمن وخرِّيجة فرقة "عنبال"، وَالَّتي وصلت اليمن عام 1990 ضمن بعثة من الولايات المتَّحدة ليهود من أصول يمنيَّة وقدَّمت عروضًا في التِّلفزيون اليمني، وبحضور رجال الدَّولة[1]. قدَّمت عروضها في اليمن باسمها الحقيقي "شمعة"، الَّذي استبدله يهود اليمن مع وصولهم إلى إسرائيل بشوشانه. تؤكِّد المصادر أنَّ عرضها في التِّلفزيون اليمني أثار موجة من الانفعال بين المشاهدين، إلى حدٍّ لم تتمكَّن من التَّجوُّل في الشَّارع بحرِّيَّة

[1]. أُنظر: طافيل 2006، ص 249-230,236,248. شوشانه طوبي تعيش في نيويورك، وتزوَّجت من المرحوم د. عمونئيل سلبرستين.

بسبب الجمع الكبير من المشاهدين الَّذينَ صرخوا متحمِّسين: "شمعة"، "شمعة".[1] انخرط اسم هٰذِهِ المغنِّية في ذهن المقري، منذ عرضها في اليمن، فمنحه لشخصيَّة المغنِّية اليمنيَّة في الرِّواية الَّتي نحن بصددها، وَالَّتي حظيت بأربعة أزواج أو عشَّاق أصحاب انتماءات دينيَّة وقوميَّة متعدِّدة، للإشارة إلى المثاليَّة الاجتماعيَّة في مدينة عدن.

لا يمكن تجاهل التَّعامل الخاصّ الَّذي يُكِنُّه المقري ليهود اليمن، بالرَّغم من توجُّه رواية "بخور عدني" لرؤية عالميَّة. يستشهد المقري في المقابلة الَّتي أشرنا إليها سابقًا، بالحيّ اليهودي تحديدًا في عدن لتجسيد الحياة المشتركة، حيث عاش سكَّان من ديانات وقوميَّات متعدِّدة، وكما يصف هو في روايته (ص: 154-153):

"ومع أنَّ اسم الحيّ ارتبط باليهود إلَّا أنَّني كنتُ أرى الكثير من بيوت المسلمين والبانيان والزَّرادشتيِّين قد جاورت بيوت اليهود في الحيّ نفسه. كما كنت أرى مسجد العسقلاني بطرازه القديم. أمرُّ كلَّ يوم، حيث يتوسَّط شارع حسن علي وشارع السَّبيل. وفي مكان غير بعيد عنه كان يمكنني، ومن الطَّريق نفسها، رؤية الكنيس اليهودي الأكبر نجمة أفراهام وعبد البانيان شري تيريشميرجي وكنسية سانت جوزيف، ومدرسة للبُهرة منقوش على بابها: يا حيُّ يا قيُّوم".

يبدأ تفكُّك المنظومة الاجتماعيَّة، الَّتي تشكِّل محور الحبكة في الرِّواية بصفة عامَّة، مع وصول يهود اليمن أرض إسرائيل، الأمر الَّذي يوليه المقري اهتمامًا وتفهُّمًا كبيرين. بالرَّغم من كون اليمن وطنًا لليهود، فقد اعتبر أنَّ تحقيق الحلم التَّاريخي-الوطني ليهود اليمن، مشروع وممكن في وطن آخر، وكما يذكر هو في الرِّواية (ص218): " كان اليهود يحلمون في وطن ويعيشون في وطن". لا يكتفي المقري بوصف متعاطف مع معسكر حاشد عدن، إنَّما يدمج كَذٰلِكَ، وفي أكثر من موضع في روايته، قصيدة الشَّاعر اليمني المجهول، " رماني عيطموس من فوق وكْرَه"، [2]

---

[1]. انظروا أقوال إيتمار بنحاس https://www.youtube.com/watch?v=MeF-T7BZj5w. يشار إلى أنَّ الأداء الموسيقي لمغنِّين من أصول يمنيَّة، كالمغنِّية المرحومة عوفرا حازَّا، براخا كوهين وصيون جولان، يحظى بإعجاب شديد من قبل سكَّان اليمن، كما يظهر في الموقع الألكتروني "يوتيوب".

[2]. حيفتس حاييم، ص89.

ويقصد بالاسم "عيطموس" المسيح المخلِّص (ص 170-169، 208-207). يعبّر المقري، كعادته، عن التَّقلُّبات التَّاريخيَّة من خلال أعضاء الكازينو. وَهكَذا، وصول شمعة إلى إسرائيل، وهي رمز التَّعدُّديَّة الثَّقافيَّة والاجتماعيَّة في عدن، بعد تخبُّطات كثيرة، يراه الكاتب من زاوية تأثيره على الكازينو الَّذي لم يعد كسابق عهده بعد استقالة شمعة منه.

وفقًا لرؤية المقري، فإنَّ الهجرة لأرض إسرائيل ليست تفسيرًا لحلم اليهود في إقامة وطن خاصٍّ بهم فحسب، بل إشارة لهجوم المسلمين المتطرِّف على الحيِّ اليهودي عقب إعلان الأمم المتَّحدة في 29 تشرين الثَّاني من عام 1947، عَنْ تقسيم أرض إسرائيل وإقامة الدَّولة اليهوديَّة إلى جانب دولة عربيَّة. لقي الكثير من اليهود موتهم في هٰذا الهجوم، بيوت حُرقت، حوانيت ومدارس، كما يحرص الكاتب على الوصف، لٰكِنْ يخصُّ بوصفه ما حدث لواحد من الجماعة السَّابقة، وَالَّذي حرقت حانوته المعروفة لبيع العطور بشكل كامل من قبل المهاجمين. يعتمد المقري، ليتمَّ نظرته العالميَّة، مرثية تردِّدها امرأة مسلمة كردّ فعل لِهٰذِهِ الأعمال الرَّهيبة (ص 202): "جاء اليهودي يصيح قال: يا مالي/ توالفوا المسلمين وقتَّلوا عيالي/ جاء اليهودي يصيح: البيت ذا بيتي/ سالت دموعه بكى سبعة بساتين سقى".

تمثَّلت المرحلة التَّالية في خسارة عدن المثاليَّة في الحرب الطَّاحنة لنيل الاستقلال وطرد الحكم البريطاني، وَالَّتي تتجسَّد في الرِّواية من خلال الحادثة البشعة لمقتل زوجين مسلمين، وهما شخصيَّتان معروفتان، على يد المتطرِّفين. تمَّ قطع رأسيهما وألقي جسداهما العاريان في شارع من شوارع المدينة (ص304).

الوقفة الكبرى في "عيد الأضحى" وقداستها عند المسلمين، صورة تمثِّل قمَّة المتخيَّل والسِّربالِيّ، وأكثرها إثارة في الرِّواية كلِّها، وَالَّتي يمكن أن توضِّح أكثر من أيِّ صورة أخرى أو محاولة أخرى للكاتب في طموحه للسَّلام العالمي. انتشرت في شوارع عدن إشاعة مفادها أنَّ المغنِّية شمعة أرسلت تسجيلًا لأغنية سيتمُّ بثُّه، وقد تجمَّع جمهور غفير لسماع صوت المغنِّية المحبوبة. روت شمعة في مقدِّمة الأغنية بأنَّها تسكن في "روش هعاين" (هٰكَذا، في اللُّغة العبريَّة وبأحرف عربيَّة!)

وأنَّ الأغنية مهداة لروح القتلى أيًّا كانوا. المقري أعطى الفصل الَّذي يصوِّر هٰذا الحدث عنوان "كديش للذِّكرى" (ص295):

لأهلنا البعيدين في قبورهم كاديش
للمعذَّبين في محارق الدَّهر كاديش
للمفقودين والقتلى كاديش
لمن قُتلوا بسبب أوهامهم كاديش
ولمن لم يقتل واكتفى بالصَّمت والسَّلام حَتَّى مات كاديش
لليهود ولكلِّ المسلمين وأتباع المسيح كاديش
لكلِّ النَّاس والأعراق والعقائد كاديش
لكلِّ من تذكَّر ومات، أو مات ولم يتذكَّر، كاديش.

ولا شكَّ أنَّ كلمات الأغنية، واللَّازمة "كاديش"، بصفة خاصَّة، الَّتي تقفل كلَّ الأبيات، وَالَّتي يتردَّد فيها صدى الكارثة في الحرب العالميَّة الثَّانية، تثير حالة من التَّعاطف مع معاناة الشَّعب اليهودي ومصيره.

بلغ تراجع عدن المثاليَّة أوجه مع ثورة 1970، حيث تحوَّلت إلى "الجمهوريَّة الدِّيمقراطيَّة الشَّعبيَّة لعدن" وانضمَّت إلى المعسكر الشُّيوعي بقيادة الاتِّحاد السُّوفييتي. بطل الرِّواية، ميشيل الفرنسيُّ الأصل (شخصيَّة خياليَّة)، لٰكِنَّهُ تعلَّم العربيَّة واتَّخذ من عدن وطنًا، لا يجد له مكانًا بعد في هٰذِهِ المدينة. هجر أعضاء المجموعة كلُّهم المدينة أو سجنوا على يد الثُّوَّار، الكازينو دُمِّر على يد ممثِّلي السُّلطة المركزيَّة، كما تمَّ تأميم عدد من المباني والمصانع. لٰكِنَّ الأثر الوحيد المتبقِّي ليهوديَّة عدن هو عبده حجازي اليهودي (شخصيَّة خياليَّة)، اسمه الحقيقي هو سعيد بن يسرائيل (!) وَالَّذي شبَّ كمسلم لظروف خاصَّة، لٰكِنَّهُ لا يتنكَّر لأبناء جلدته، وهو من ساعد شمعة في خروجها من عدن، يترك هو الآخر المدينة

وفقًا للمتخيَّل الأدبي للمقري، وَالَّذي يحيل إلى واقع حقيقي بطبيعة الحال، تصل عدن نهايتها: نهاية الحرِّيَّة الشَّخصيَّة، نهاية الوجد اليهودي في المدينة، والأهمُّ نهاية المساواة الإنسانيَّة العالميَّة.

خ: تلخيص: الحضور اليهودي في روايات المقري

في الثَّلاثين من كانون الأوَّل 2014 أجريت مع المقري مقابلة من قبل الملحق الأدبي لصحيفة "الأيَّام" الفلسطينيَّة.[1] أجاب المقري عن سؤال الصَّحفي في نهاية المقابلة،" نلاحظ أنَّ ليهود اليمن حضورًا واضحًا في رواياتك. ما السِّرُّ في ذٰلِكَ؟":

> "يمثِّل اليهود في اليمن خلاصة لعذابات إنسانيَّة قد نجدها في أيِّ مكان في العالم، وقد تعيشها أيَّة فئة أو طائفة ... وقد رأيت فيهم إمكانيَّة لاختبار مفهوم الوطن بين الحلم والمعاش، وإلى أيِّ مدى يمكن تحقُّقه، وهي المحنة الَّتي يواجهها السُّود[2] في اليمن، كما يواجهها الفلسطينيُّون وغيرهم".

بالرَّغم من أنَّه لم يتجاهل إشكاليَّة القضيَّة الفلسطينيَّة وصعوبتها، ولأنَّ المقابلة تجرى لصالح صحيفة فلسطينيَّة بصفة خاصَّة، لا يتردَّد المقري في التَّصريح لقرَّاء هٰذِهِ الصَّحيفة، أنَّ من وجهة نظره يهود اليمن هو رمز المعاناة لجماعة قوميَّة، دينيَّة، أو أيِّ جماعة إنسانيَّة أخرى. وليس في ذٰلِكَ قصد للتَّعبير عن التَّعاطف التَّامّ والكامل مع معاناة الشَّعب اليهودي، إنَّما يرى فيهم ممثِّلين فحسب لكلِّ شعب أو أقلِّيَّة أيًّا كانت، ترزح تحت نير المعاناة والظُّلم. وَلٰكِنَّهُ بِذٰلِكَ أثبت موقفه الأخلاقي السَّامي، الموقف الَّذي لا يميِّز بين بني البشر على أساس معيار معيَّن، وَبِذٰلِكَ فقد حسمه في هٰذِهِ المسألة وجرأته في الإعلان عن موقفه هٰذا، ليس من خلال المنصَّة الأدبيَّة المتخيَّلة فحسب، بل في صياغة فكريَّة واضحة ومبسَّطة.

---

[1]. http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=e80250ay243279114Ye80250a

[2]. يقصد بِذٰلِكَ "الأخدام"، الَّذينَ خصَّهم في روايته "طعم أسود ... رائحة سوداء" الَّذي أشرنا إليه سابقًا.

يبدو أحيانًا أنَّ اهتمام المقري باليهود واليهوديَّة يزيد عن الحدِّ المطلوب للتَّعبير عن أفكاره العالميَّة، بل ويزيد عن الحاجة لتصوير يهود اليمن كرمز للظُّلم اللَّاحق بالأقلِّيَّات الضَّعيفة في المجتمع الإنساني. كما هو الحال في الفصل "ذكرى الأب" ("بخور عدني"، ص 170-167) المكرَّس لوصف طقوس زيارة ضريح الولي سالم الشّبزي المقام في عدن، لأنَّه مُنع من اليهود المحلِّيِّين زيارة الضَّريح في تعز. لا يشترك في الطُّقوس، خلافًا للواقع الممكن، يهود من عدن والأماكن المجاورة لها فقط، بل أبناء طوائف أخرى ومعدومي الهُوِيَّة الدِّينيَّة. تقيم سارة في طريق الموكب إلى المقبرة اليهوديَّة في عدن، جوقة من الأولاد لأغنية مدح للشّبزي " أبا شمعون كُن بعوني".[1] ويذكر في نهاية الفصل كَذٰلِكَ أغنية " رماني عيطوس من فوق وكْره" للشّبزي. ميشيل، بطل الرِّواية الحاضر في هٰذا الموقف، يسأل أحد المشتركين المسلمين عن معنى كلمة "عيطموس"، ويجيبه بِأَنَّهُ "المسيح المخلّص". تثير كلمات الأغنية، في مسيرة الموكب، ميشيل كثيرًا، لدرجة أنَّه أخذ يردِّدها مع باقي المشتركين-"أبدأ بتوحيد...أبدأ بتوحيد...أبدأ بتوحيد ربّي"، وهي كلمات افتتاحيَّة لشعر من أشعار الشّبزي.[2] مِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ مشاركة غير اليهود في ذكرى الولي الشّبزي، تؤكِّد إعجاب المسلمين بشاعر يهودي من ناحية، ونظرة الكاتب العالميَّة من ناحية ثانية. بل ويظهر، أنَّ معرفة الكاتب بشعر يهود اليمن، تعكس ما يعتمل في قلبه، والاهتمام اللَّافت بثقافتهم ورغبته في إشراك قرَّائه بِذٰلِكَ.

[1]. "أبا شمعون" هو أحد الألقاب المعتادة الَّتي يلقَّب بها الشّبزي نفسه في قصائده، تيمُّنًا باسم ابنه شمعون. ألَّفت كلمات الأغنية في النُّسخة العربيَّة نعمي عمراني ومنفذِّها الموسيقي صيون جولان، المذكور سابقًا، أعماله الموسيقيَّة منتشرة بكثرة في اليمن، من خلال أسطوانة له صدرت العام 1990. للاستزادة عن الأغنية وصيغتها الكاملة، أُنظروا في ويكيبيديا، باب "أبا شمعون".

[2] حفيتس حاييم، ص 103-105. تجدر الإشارة إلى أنَّ الكاتب يحرص على إعادة هٰذِهِ الكلمات الافتتاحيَّة ثلاث مرَّات، كما هو متَّبع في أسس الأداء الموسيقي في الأغنية اليمنيَّة، وفقًا لما يسمع في التَّسجيل أو في وسائل الإعلام.

خ. ملحق: ردود فعل الإعلام والأدب العربيَّين لرواية "اليهودي الحالي"

أثارت رواية "اليهودي الحالي" اهتمامًا واسعًا في المجتمع العربي-والمجتمع الفلسطيني بصفة خاصَّة، حيث تقف العلاقات العربيَّة اليهوديَّة في مركزها- وفيها قدِّمت شخصيَّة تختلف كلِّيًّا عن الشَّخصيَّات المألوفة في الأدب العربي في مراحله المختلفة، وفي الأدب العربي الحديث بصفة خاصَّة. تصدَّرت ردود كثيرة عناوين الصُّحف العربيَّة المركزيَّة، بما في ذٰلِكَ النَّقد الأدبي في الملحقات الأدبيَّة للصُّحف.[1] اخترت، من بين هٰذِهِ الرُّدود، ردًّا واحدًا، نشر في صحيفة الأيَّام الفلسطينيَّة بتاريخ 28-26 من كانون الثَّاني للعام 2010، لمثقَّف فلسطيني البروفيسور خالد الحروب، محاضر سابق في جامعة كامبردج البريطانيَّة، ويعمل حاليًّا كمحاضر لمادَّة الإعلام العربي في جامعة قطر.[2]

[1]. أُنظروا ويكيبيديا النُّسخة العربيَّة، ضمن باب "اليهودي الحالي": https://ar.wikipedia.org/wiki/

[2]. تظهر المقالة في موسوعة ويكيبيديا في الرَّابط الخاصّ بالموسوعة المشار إليه سابقًا.

نموذج مختلف لشخصيَّة اليهودي

تعكس رواية 'اليهودي الحالي' للشَّاعر والرِّوائي اليمني علي المقري نموذجًا جديدًا للشَّخصيَّة اليهوديَّة في الرِّواية العربيَّة. هنا يحمل البطل سالم صفات بشريَّة لم نعتدها كثيرًا في الرِّواية العربيَّة الَّتي تناولت اليهودي وعلى وجه الخصوص اليهودي الإسرائيلي. سالم ليس شخصًا عدوانيًّا أو بخيلًا أو جشعًا أو غادرًا أو لئيمًا أو واشيًا أو ناقضًا للعهود والمواثيق كما تظهر الصُّور النَّمطيَّة عن اليهود في الأدب العربي الحديث وفي المخيال العربي الإسلامي على حدٍّ سواء. بالعكس، بطل 'اليهودي الحالي' جميل (بحسب المعنى العامّيّ لكلمة الحالي بالمحكيَّة اليمنيَّة) ومنفتح وغير متمسِّك بديانته وبريء إلى حدٍّ كبير. طبعًا هٰذا الرَّسم المغاير لبطل الرِّواية ليس ساذجًا، إذ لا تغفل الرِّواية الصِّراع التَّاريخي القائم ما بين المسلمين واليهود منذ نشوء الإسلام. بالعكس، الرِّواية الَّتي تتناول مرحلة تاريخيَّة من تاريخ اليمن، تحديدًا ما بين الفترة الممتدَّة من سنة 1054 هجريَّة الموافقة سنة 1644 ميلاديَّة إلى سنة 1077 هجريَّة، أي في القرن السَّابع عشر، هٰذِهِ الرِّواية تعكس الصِّراعات الَّتي كانت تقوم ما بين أتباع الدِّيانتين، مظهرة القمع الَّذي تعرَّض له اليهود آنذاك ولا سيَّما بعد ظهور شبتاي زيفي الَّذي ادَّعى أَنَّهُ المخلِّص، ما جعل اليهود ينتفضون، الأمر الَّذي جرَّ عليهم تنكيلًا مبرمجًا من قبل أئمَّة اليمن الحاكمين أمثال الإمام المتوكِّل إسماعيل بن القاسم بن محمَّد والإمام المهدي أحمد بن الحسن... ومن هٰذا التَّنكيل المبرمج الطَّرد من صنعاء وحرق المنازل وقتل الأرواح وزيادة الجزية وسواها. وفي مقابل هٰذِهِ العداوة المتبادلة كان تاريخ آخر غير رسميّ يجري من غير أن يوثّقه أحد: تاريخ العلاقات الفرديَّة ما بين أبناء الدِّيانتين.

المراجع

جملئيلي، نسيم بنيامين. **العرب الَّذينَ عاش يهود اليمن بينهم، فرق الإسلام وعلاقتهم مع بعضهم البعض ومع اليهود**. في: يسرائيل يشعياهو ويوسف طوبي (معدَّان)، **يهوديَّة اليمن: فصول بحث ودراسة**. القدس: د.ن، 1975. ص165-192،

هليفي، رتسون. **القصيدة العبريَّة في اليمن: مختارات من القصيدة الشّبيزية – اليمنيَّة**. كريات أونو: تل أبيب، 2002/1996.

حفيتس، حاييم. **قصائد الحاخام شالوم شبزي**. القدس: منشورات الأخوين مكيطون، 1965 (بالعبريَّة).

طوبي، يوسف. **قراءة في كتاب اليمن**. القدس: د.ن، 1985.

طوبي، يوسف. "أخبار عن يهود اليمن في مؤلَّفات عربيَّة في اليمن" (ب). **بعميم**، 65، 1994، ص 18-56.

طوبي، يوسف. "أحداث 1666 في اليمن: حركة السَّبت". **الحلم وخرابه: حركة السَّبت وأبعادها**، أ (أبحاث القدس في الفكر اليهودي، 16-17)، تحرير: راحل أليئور، القدس: د.ن، 2004، ص 113-128.

طافيل، حاييم. **على أجنحة الصُّقور، حملة إستر: استقبال آخر اليهود اليمنيِّين** (1989-1993)، مع ستيفن ميودفنيك وباشتراك بيير جولوبنوف. ترجمة: ليئورا موري. القدس: د.ن، 2006.

سدان، يوسف. "أخبار ابن نصَّار: نصٌّ جديد حول حركة الخلاص اليهوديَّة في اليمن خلال النِّصف الثَّاني من القرن 17: خلفيَّة وترجمة". بعميم، 43، 1989، ص 11-135.

Lorant, André. "Regards et possession fantasmée dans Clotilde de Lusignan, ou le Beau Juif". *L'Eortique Balzacienne*, editors: Lucienne Frappier-Mazur & Jean-Marir Roulin, s.l: Malesherbes, 2001, pp. 67–75.

Alhakami, Noaman A., *Akhdam Category in Yemen: A Comprehensive Study about Akhdam in Yemen*. Taiz, 2010

Seif, Huda, the Accursed Minority: The Ethno-Cultural Persecution of Al-Akhdam in the Republic of Yemen. A Documentary & Advocacy Project. *Muslim World Journal of Human Rights* 2, pp. 1–35 2005

Koningsveld, Sj. Van; Sadan, Joseph & al-Samarrai, Q. *Yemenite Authorities and Jewish Messianism: Ahmad ibn Nāsir al-Zaydī's Account of the Sabbathian Movement in Seventeenth Century Yemen and its Aftermath*. Leiden, n.d.

ENGLISH SECTION